# عليٌّ بلسانِ عليٍّ

المدرس الدكتور : فارس حسن محسن السلطاني

كلية الفقه \ جامعة الكوفة

## ***المقدمة:***

**لقد شغل كتاب نهج البلاغة الدارسين أجيالا ، واستوقف الباحثين قرونا ، ونهل منه الأدباء دهورا ، لم يزل يفتح الأذهان ، ويوقد الفكر ، ويلهم القرائح ، ضاربا في عروض البلاغة ، وميادين الفصاحة ، ومقامات البيان ، لم يشبع منه وارد ، ولم يكتف منه طالب ، أخّاذ بأسلوبه ، باهر بنمطه ، معجب بتناوله ، فريد بوصفه ، يصف الدقيق الخفي كما يصف البيّن الجلي ، ويحكي الرقيق الطيب ، كما يصف الخبيث المقرف ، ما تزال العين تطلع فيه على محاسن الصور ، وروائع الغريب ، وشوارد المعنى ، يبدأ كما ينتهي ، ويستطرد كما يوجز ، ويقدم ويؤخر لا يتغير فيه كيف ، ولا يلحظ فيه خبط .**

**لقد ارتقى فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) مرتقى لم يبلغه خطيب ، ولم يصل إليه متكلم أريب ، فتق المعاني ، ودوّخ الألفاظ ، وحلق في أفق اللغة ،آخذا بزمامها فكانت له أطوع من الحديد لداوود (ع) وقد قال في ذلك (سلام الله عليه) : "وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ الْكَلَامِ وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ وعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ "[1] فكان كما وصف ، وأكثر مما نعرف .**

**ولم يزل الإمام مطلعا بكلامه الفرد العجيب ، والجديد الغريب من أفصح القول وأعلاه ، وأجوده وأنقاه ، كلما تأمله متأمل ، وأعاد فيه النظر ؤ متفحص ، لـذّ لـه وطاب ، وطرب له فأعاد ، فما وجده إلا ماء واحدا ، وبيانا شاهدا أن الذي صدر عنه لا يحكم له إلا بأن كان القرآن مدرسته والنبي (صلى الله عليه وآله) مدرسه ، كله يحكي عن بعضه ، وبعضه معجز بفنه، وهو بعد مرآة لعلي (ع) يصور مآثره ، ويشرح مرائره ، ويبين مناقبه بلسانه (سلام الله عليه) .**

**ومن جملة ما تضمنه النهج كلام علي (ع) عن نفسه ، ومدى مظلوميته ، وفضل أهل البيت ، وخطابه مع عدوه ، وإنصافه الناس من نفسه، كل ذلك يصب في رافد واحد ألا وهو الإمامة التي كان الإمام يشير إلى فضلها ، وما يجب على الناس فيها من طاعة وولاء .**

**ولقد كان هذا الموضوع عامل إثارة لي ، حملني على تقصي بعض خطبه – سلام الله عليه – التي تقف بنا على هذه المضامين آنفة الذكر .**

---

[1] نهج البلاغة (صبحي الصالح) : ٣٥٤

# التمهيد:

**١- في معنى الأسلوبية:**

**لقد كان لهذا المصطلح تعاريفه المختلفة باختلاف رؤية العلماء لهذا العلم " ويعود الالتباس بين كون الأسلوبية من المعرف المختصة بذاتها وكونها مجرد مواصفة لسانية أو منهج في الممارسة النقدية وذلك مع كل من (م . آرفاي ودولاس وريفاتار ) .**

**يقول الأول : " إن الأسلوبية وصف للنص الأدبي حسب (كذا) طرائق مستقاة من اللسانيات "[٢].**

**ويقول الثاني : " إن الأسلوبية _ تعرف بأنها منهج لساني "[٣] .**

**أما ( ريفارتار) فإنه ينطلق من تعريف الأسلوبية بأنها " علم يهدف إلى الكشف عن العناصر المميزة التي بها يستطيع المؤلف إثبات مراقبة حرية الإدراك لدى القارئ المتقبل والتي بها يستطيع أيضا أن يفرض على المتقبل وجهة نظره في الفهم والإدراك فينتهي إلى اعتبار (كذا) الأسلوبية "لسانيات" تعنى بظاهرة حمل الذهن على فهم معين وإدراك مخصوص " [٤]**

**ويرى (ابرامز) M.H.Ibrams في معجم المصطلحات الأدبية : " إن أفكار علم اللغة الحديث تستخدم للكشف عن السمات الأسلوبية أو الخصائص الشكلية التي يقال إنها تميز عملا معينا أو كاتبا معينا أو موروثا أدبيا ، أو عصرا معينا ، وهذه السمات الأسلوبية قد تكون :**

- **صوتية : ( الأنماط الصوتية للكلام ، أو الوزن أو القافية ) أو**
- **جملية : ( أنواع التركيب الجملي ) أو**
- **معجمية : ( الكلمات المجردة ضد الكلمات المحسوسة ، التكرار النسبي للأسماء والفعال والصفات) أو**

---

[٢] الأسلوبية والأسلوب : ٤٨ عن مجلة ١٩٨ Langue trangaice – sept

[٣] نفسه: ٤٨ عن مقدمته لكتاب ريفالتو :١٢ : Essai de stylistiqe stracturale

[٤] نفسه : ٤٩ عن المرجع الغربي السابق : ١٤٦

- **بلاغية : ( الاستعمال المتميز للمجاز ، والاستعارة ، والصور وما إليها " [٥]**

**فالتحليل الأسلوبي يتعامل مع ثلاثة عناصر :**

**أولا : العنصر اللغوي : إذ يعالج نصوصا قامت اللغة بوضع رموزها .**

**ثانيا : العنصر النفعي : الذي يؤدي إلى أن ندخل في حسابنا مقولات غير لغوية مثل : المؤلف ، والموقف التاريخي ،وهدف الرسالة وغيرها .**

**ثالثا : العنصر الجمالي الأدبي : ويكشف عن تأثير النص على القارئ و التفسير والتقييم الأدبي له .[٦]**

**فماذا يقصد بالمنهج الأسلوبي أو "الأسلوبية"؟**

**المنهج**

**كما عرفه الجيلالي: (طريقة موضوعية يسلكها الباحث في تتبع ظاهرة، أو استقصاء خبايا مشكلة ما لوصفها أو لمعرفة حقيقتها وأبعادها ليسهل التعرف على أسبابها وتفسير العلاقات التي تربط بين أجزائها ومراحلها وصلتها بغيرها من القضايا، والهدف من وراء ذلك هو الوصول إلى نتائج محددة يمكن تطبيقها وتعميمها في شكل أحكام أو ضوابط وقوانين للإفادة منها فكرياً وفنياً) (١).**

**أما الأسلوب:**

**ففي لسان العرب يقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب الفن يقال أخذ فلان في أساليب من القول: أي أفانين منه.(٢)**

**وعرف "ريافتير" الأسلوب بأنه: "كل شيء مكتوب وفردي قصد به أن يكون أدباً".(٣)**

---

[٥] المدارس النقدية الحديثة: م هـ\ تر د . عبد الله معتصم الدباغ : ٥٥

[٦] علم الأسلوب ⊗ صلاح فضل ) : ١٠٠

ويعد ( شارل بالي )الفرنسي النمساوي تلميذ (دي سوسير) "مؤسس المنهج البنيوي" من أوائل المؤسسين لهذا المنهج وتبعه (جاكوبسون) الذي عرف الأسلوبية بأنها "البحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولاً، وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانياً".(٤)

ولم يغب عن ذهن عبد القاهر الجرجاني إشارته إلى الأسلوب في نظرية النظم، فالنظم عند الجرجاني يبدو أنه هو الأسلوب، ومن هذه النظرية بنى الأسلوبيون منهجهم الحديث "الأسلوبية" فأصبحت على مر الوقت علما قائما كغيرها من العلوم التي وضع لبناتها القدماء ولكنها توسعت في الدرس الحديث بما يوائم الحركة الأدبية والنقدية باتجاهيها الغربي والعربي .

لقد أصبح المنهج الأسلوبي لا يعتمد على الألفاظ وعلاقاتها بالجمل والتراكيب والقواعد النحوية فحسب بل " توسع مفهوم علم الأسلوب ليشمل كل ما يتعلق باللغة من أصوات و صيغ و كلمات وتراكيب فتداخل مع علم الأصوات و الصرف و الدلالة و التراكيب لتوضيح الغاية منه، و الكشف عن الخواطر و الانفعالات و الصور ، وبلوغ أقصى درجة من التأثير الفني ، بل توسع أكثر من ذلك أخيرا (٥) ليشتمل على علم النفس و الاجتماع و الفلسفة وعلوم أخرى شهدت دقة مناهجها ومدى صلاحيتها في إغناء المنهج الأسلوبي.

يقول غزوان " وقد أدى الاهتمام بدراسة الأسلوب وتحليله لغويا على وفق معايير لغته أو فنياً على وفق المعايير الفنية ، إلى ظهور ما يسمى بالأسلوبية اللغوية التي ترى أن الأسلوب قد يكون انزياخا أو انحرافا، أو عدولا عن السياق اللغوي المألوف في هذه اللغة أو تلك ، أو قد يكون تكرارا للمثال ، أو النموذج النصي الذي يهتم به الذوق العام أو قد يكون كشفا خاصا لبعض أصول اللغة ومرجعياتها ولا سيما في الوجه الجمالي للتعبير أو ما يسمى بالوجه البلاغي أو البياني"(٦)

ومن هنا نستخلص بأن الأسلوبية إنما تعتمد اعتمادا كبيرا على الدراسات اللغوية التي تمهد لدراسة النص الأدبي ، لأن الناقد الأدبي -على حد تعبير غزوان- قبل كل شيء يجب أن يكون لغويا جيدا لأنه" لا وجود لأي نص أدبي خارج حدود لغته"(٧) وهذا يدفعنا إلى أن الأسلوبية لا تكتفي البتة ببنية النص كما هي

**البنيوية بل تنظر إلى ما يحيط بها نظرة شمولية تهدف من وراءها إلى خلق جماليات النص الأدبي و تنويره للقارئ.**

**هذا بالإضافة إلى علاقتها بالبلاغة العربية و ما يعرف بالانزياح و التكرار و الإيحاءات التي يستشفها الناقد من السياقات المختلفة.**

**ويتحدد المنهج الأسلوبي وفق خمسة اتجاهات(٨) :**

**١ـ الأسلوبية الصوتية:**

**وهي التي تهتم بالأصوات و الإيقاع و العلاقة بين الصوت و المعنى.**

**٢ـالأسلوبية الوظيفية:**

**وتهتم بدراسة العدول أو ما يسمى بالانحراف أو الانزياح.**

**وتقوم على مبدأين:**

**أ-دراسة نصوص كثيرة تمثل أنواعاً أدبية مختلفة وأجناسا متعددة وعصورا بغية الكشف عن الآليات التي تتحكم في تكوين الأسلوب الشعري.**

**ب- الإفادة من نتائج علم النفس ..فدراسة العمل الأدبي أسلوبياً يتطلب التحرك بمرونة قصوى بين الأطراف و المركز الباطني للنص ، والوصول إلى تلك النتائج يتطلب إعادة قراءة النص مرارا.**

**٣ـالأسلوبية التعبيرية:**

**وكان رائدها بالي الذي شق الطريق للتفريق بين أسلوبين أحدهما ينشد التأثير في القارئ و الآخر لا يعنيه إلا إيصال الأفكار بدقة . وطور تلاميذه هذا الاتجاه عن طريق التوسع في دراسة التعبير الأدبي ، فالكاتب لا يفصح عن إحساسه الخاص إلا إذا أتيحت له أدوات ملائمة ، وما على الأسلوبي إلا البحث عن هذه الأدوات.**

**٤-الأسلوبية الإحصائية:**

**تقوم على دراسة ذات طرفين ، أولهما: هو التعبير بالحدث ، و الثاني هو التعبير بالوصف ، ويعني بالأول الكلمات أو الجمل التي تعبر عن حدث و بالتالي الكلمات التي تعبر عن صفة ، ويتم احتساب عدد التراكيب و القيمة العددية الحاصلة تزيد أو تنقص تبعاً لزيادة أو نقص عدد الكلمات الموجودة في هذه التراكيب ، وتستخدم هذه القيمة في الدلالة على أدبية الأسلوب و التفريق بين أسلوب كاتب و كاتب .**

**فمثلاً كتاب " الأيام" لطه حسين تبين مثلاً أن نسبة الجمل الفعلية إلى الوصفية ٣٩% في حين أن نسبة تكرار هذه الجمل في كتاب " حياة قلم" للعقاد لا تتعدى ١٨% ، ومعنى ذلك أن كتاب الأيام أقرب إلى الأسلوب الانفعالي و الحركي من كتاب العقاد الذي يميل فيه إلى الطابع الذهني العقلاني.**

**٥-الأسلوبية النحوية:**

**تهتم بدراسة العلاقات و الترابط و الانسجام الداخلي في النص و تماسكه عن طريق الروابط التركيبية المختلفة ، ومن هذه العلاقات : استخدام الضمائر و العطف و التعميم بعد التخصيص... وهذه العلاقات يلجأ إليها الكاتب لتنظيم جملة بعضها إلى جانب بعض مما يؤدي إلى تماسكها و ترابطها ..**

**وعلى هذا فإن الأسلوبية تواصل تأملها لعالم النص عن طريق القراءة المتعددة الوجوه ، وتتحدد هذه الاتجاهات بعضها مع بعض في كيان عضوي يجذب القارئ و يستثير تساؤلاته. وأدعي أنني أقف في هذه الدراسة على جانب من هذا المنهج الذي آثرت فيه الخوض في بحر من البلاغة التي نطق بها أميرها ، وفتق أصول بيانها رائدها علي بن أبي طالب ( عليه السلام) .**

**لم يغب عن ذهن الإمام أمير المؤمنين - عليه السلام – وهو يجوب عالم البلاغة واصفا حاكما مستعرضا كل ما أمكنه من صور يهتدي بها مستبصر إلى**

طريق الحق ، وسائل عن معاني الهدى ، ومتحير في طريق الضلالة ، فكان أبرع ما وصف ، وأصفى ما أجاب ، وأبلغ ما دلّ.

ومن جملة ما شهده النهج ما شهد به علي –ع- لنفسه في التعريف بما يتناسب ومقام الإمام من الفضل الذي تميز به - سلام الله عليه – مما يدخل في الجانب العقيدي، والفكري ، والاجتماعي ، وهذا من أدب القرآن الذي نهل منه أمير المؤمنين ( ع) وأفاد منه في بيان التعريف بذاته المقدسة ؛ فقد نقل القرآن عن الصديق يوسف (ع) قوله (( اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ))[٧] وقول هود (ع) (( قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ))[٨] .

ومنه ما ورد عن الإمام الصادق ع في جواب سفيان " يجوز أن يزكي الرجل نفسه ؟ قال : نعم إذا اضطر إليه ، أما سمعت قول يوسف : ((اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم )) ،وقول العبد الصالح : (( أنا لكم ناصح أمين ))[٩]. وإلى ذلك أشار الإمام ع في إحدى رسائله لمعاوية :" ألا ترى –غير مخبر لك- ولكن بنعمة الله أحدث أن قوما استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ولكل فضل ، حتى إذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء ... أولا ترى أن قوما قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين "[١٠]

وقد توزع بيان أمير المؤمنين ع في عدة محاور كما أسلفنا ، فحين يعرض لصباه وكيف اكتنفه رسول الله - صلى الله عليه وآله – يقول : " وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة . وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره ، ويكنفني إلى فراشه ، ويمسني جسده ، ويشمني عرفه ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه ، وما وجد لي كذبة في قول ،ولا خطلة في فعل "[١١].

وعندما يعرض الإمام ع إلى علاقته بالدنيا فإنه يجعل من الدنيا مخاطبا له حس يسمع ويرى ويعقل ويقبل إيقاع عقد الطلاق " يا دنيا يا دنيا إليك عني ، أ

---

[٧] يوسف : ٥٥
[٨] الأعراف : ٦٧
[٩] تحف العقول (ابن شعبة الحراني ) : ٣٧٤
[١٠] نهج البلاغة :٣ : ٣٢
[١١] نفسه ٢ : ١٥٧

**بي تعرضت ، أم إلي تشوقت ؟ لا حان حينك هيهات غري غيري ، لا حاجة لي فيك ، قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها " [١٢].**

**وبينما يصل الأمر إلى المبادئ مما يتصل بجانب الإمامة ومسؤوليتها لا يرضى أن يتنازل الإمام عن اليسير من ذلك ، يقول لابن عباس وقد أشار عليه في شيء لم يوافق رأيه ع : " لك أن تشير علي وأرى ، فإن عصيتك فأطعني " [١٣]. وقال رادا على طلحة والزبير : نبايعك على أنا شركاؤك في هذا الأمر فقال ع : لا ، ولكنكما شريكان في القوة والاستعانة ، وعونان على العجز والأود "[١٤].**

**وحين يتحدث – سلام الله عليه – عن منهج اتباعه وسبيل الوصول به إلى الحق يقول " هلك في رجلان : محب غال ومبغض قال " [١٥].**

**لقد بيّن الإمام ع بذلك في أكثر من موطن عن حاله التي جعله الله ورسوله فيها ، وما يجب على الرعية معه ، فهو يضع نفسه مواضعها التي أرادها الله وما ينبغي للرعية معه . ونحن نحاول الوقوف على هذه الجوانب المتميزة والمضيئة في حياة الإمامة ، ومنهاج الرسالة ، وما به قوام الدين ، وصلاح العباد .**

**وفيما يأتي بعض ما حاول به أمير المؤمنين –ع- الكشف به عن نفسه ، والتعريف بها ، بما خفي على الناس منه الكثير كما صرح به ذات يوم " ثم فتح الله عليها الفتوح ، فأثرت بعد الفاقة ، وتمولت بعد الجهد والمخمصة ، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجا ،وثبت في قلوب كثير منها ما كان مضطربا ، وقالت لولا أنه حق لما كان كذا ، ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها ، وحسن تدبير الأمراء القائمين عليها ، فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول قوم آخرين ، فكنا ممن خمل ذكره ، وخبت ناره ، وانقطع صوته وصيته "[١٦]**

---

[١٢] نفسه : ٤ : ١٧

[١٣] نفسه: ٤ : ٧٦

[١٤] نفسه : ٤ : ٤٦

[١٥] نفسه : ٤ : ٢٨

[١٦] شرح نهج البلاغة (إبن أبي الحديد ): ٢٩٩\٢٠

## فضل أهل البيت :

**لم يكن الإمام أمير المؤمنين –ع- أول من صرح بفضل أهل البيت – ع – بل إنه منهج قرآني ، وسنة نبوية ، فقد ورد عنهم سلام الله عليهم أن ربع القرآن فيهم ، قال الإمام الصادق : " نزل القرآن أربعة أرباع : ربع فينا ، وربع في عدونا ، وربع سنن وأمثال ، وربع فرائض وأحكام "[١٧] وعن الإمام أمير المؤمنين –ع- : " نزل القرآن أثلاثا : ثلث فينا وفي عدونا ، وثلث سنن وأمثال ، وثلث فرائض وأحكام"[١٨] ، مما يدلك على خطر أهل البيت الذين نص عليهم الذكر الحكيم بقوله تعالى { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا }[١٩] .**

**وحين يعرض أمير المؤمنين –ع- لمناقب أهل البيت –ع- فهو يشير إلى مكارمهم التي انمازوا بها عن سواهم ، ومن أهمها ما جعله الله لهم من منقبة الخطابة التي بها أصبحوا أمراء الكلام ، قال بعد أقدم أحدهم على الكلام فحصر " أَلَا وَ إِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ وَ لَا يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ وَ إِنَّا لَأُمَرَاءُ الْكَلَامِ وَ فِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ وَ عَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ "[٢٠].**

**حقا أهنا مما تستوقف الباحث وهو يراجع قوله –ع- (أمراء الكلام ) ، وكيف استحق أهل البيت هذه الميزة التي عرف بها صغيرهم وكبيرهم ممن شهد لهم عدوهم بأنهم "زقوا العلم زقا " [٢١] وكيف صور الإمام أمير المؤمنين –ع- الكلام بأنه شجرة فيهم نشبت عروقه ، وعليهم تهدلت غصونه ، فلم يغب عنه الاستعمال القرآني وهو يصرح بأن الكلمة الطيبة شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء{** أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء **}[٢٢]، فقد روى ابن عقدة عن أبي جعفر الباقر –ع- " أن الشجرة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ، وفرعها علي عليه السلام ، وعنصر الشجرة فاطمة ، وثمرتها أولادها "[٢٣] والإمام في ذلك يبين من حيث يدرك السامع أن من فضل أهل البيت-ع- على الناس جميعا قدرتهم على الكلام البليغ الذي يرتبط بكلام الله تعالى فيكون له من الإعجاز ما ليس لغيره.**

---

[١٧] - تفسير العياشي ٩\١ ، والبحار ١١٤\٩٢.

[١٨] -الكافي ٦٢٧\٢ ، وتفسير العياشي ٩\١ .

[١٩] ١-لأحزاب : ٣٥ هذه الآية مما رواها جمع كبير من علماء الجمهور ، ينظر على سبيل الإيجاز : شواهد التنزيل(الحسكاني) :٣١\٢ ، وتفسير الثعالبي :٤١\٨، و تاريخ ابن عساكر : ٧٢ ، ونهج الإيمان (ابن جبر) :٧٧، وفضل آل البيت (المقريزي): ٤٥ .

[٢٠] - نهج البلاغة:٣٥٤

[٢١] - ظ: البحار:١٣٨\٤٥ ، والعوالم (البحراني): ٤٣٨

[٢٢] - : ابراهيم:٢٤

[٢٣] - مجمع البيان : ٧٤\٦

**ثم انظر لما جاء به الإمام من فعلين ناسبا مقام اتصاف الكلام بالشجرة ، وهما (تنشّب) و (تهدّل) وهما على صيغة ( تفعّل ) [٢٤]التي تأتي للمطاوعة ، وهي لا تتعدى إلى مفعول ؛ لأنها إخبار عما تريده من فاعلها[٢٥]، ومعنى تنشّب علق وثبت ، ومعنى تهدّل تدلّى فأظلّ ، راسما أمام السامع صورة الكلام العالي ، والصياغة الفريدة وكأن أهل البيت –ع- أصل تلك الشجرة ، ومعدنها ، وأساسها.**

**ويقول في وصف أهل البيت –ع- ثانيا : " نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الْوُسْطَى بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي وَ إِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي "[٢٦] ،وعلماء اللغة يفسرون النمرقة بأنها الوسادة " استعار عليه السلام لفظ النمرقة بصفة الوسطى له ولأهل بيته باعتبار كونهم أئمة العدل يستند الخلق إليهم في تدبير معاشهم ومعادهم ، ومن حق الإمام العادل أن يلحق به التالي المفرط المقصر في الدين ويرجع إليه الغالي المفرط المتجاوز في طلبه حد العدل ، كما يستند إلى النمرقة المتوسطة من على جانبيها "[٢٧]، والإمام حين يستعير لفظ النمرقة هنا لما تحمله من دلالة استعمالها في ساعة الراحة التي يهدأ فيها الإنسان من تعب وطيش ، قد يسلبه صوابه ، فلا بد له من مراجعة نفسه والسؤال عما هو عليه من رأي ومذهب، وهنا يتجلى أثر أهل البيت –ع- حين يسألون عن حالهم ، ومرتبتهم التي رتبهم الله بها ، وكيف يدلون الناس إليها ببيان لا يدفع ، وحجة لا تغلب.**

**ومرة أخرى حين يصف الإمام نفسه من الآخرين فإنه يقسمهم على قسمين : مؤمنين ، ومنافقين ، وعلي –ع- عند المؤمن حال مختلفة عنها عند المنافق ، فحب علي دليل إيمان حتى لو ضرب علي –ع- خيشوم المؤمن " لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي وَ لَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا عَلَى الْمُنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي وَ ذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَانْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ( صلى الله عليه وآله ) أَنَّهُ قَالَ يَا عَلِيُّ لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ وَ لَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ "[٢٨]، مما يشير إلى شدة تعلق المؤمن بعلي –ع- بما يلاقي من أذى في حب أمير المؤمنين –ع- ، إذ حبه علامة الإيمان ، وعنوان صحيفة المؤمن [٢٩]**

**ولو انتقلنا إلى الجانب الآخر الذي يمثله المنافق وجدنا المحرز المادي الذي يستريح إليه المنافق ، وهو كثرة المال الذي عبر عنه الإمام بالدنيا بجمّاتها ويعني بها كل ما فيها من خير وفير ، ومال كثير وهو أكثر ما تشترى به ذمم المنافقين كما وصفهم القرآن : { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ**

---

[٢٤] - ظ: الكتاب (سيبويه) : ٢٣٨\٢ ، والمقتضب (المبرد) : ٧٨\١

[٢٥] - ظ المقتضب : ١٠٤\٢

[٢٦] - نهج البلاغة : ٤٨٨

[٢٧] - مجمع البحرين(الطريحي): ٣٧٥\١٤

[٢٨] - نهج البلاغة : ٤٧٧ ، روى غير عالم ومحدث من علماء الجمهور حديث النبي هذا ، ومنهم : أحمد في المسند : ٩٥\١ ، ١٣٨ ، والنسائي في السنن : ١١٧\٨ ، وأبو نعيم في الحلية : ١٨٥\٤ .

[٢٩] - روى هذا الحديث جملة من الحفظ والمؤرخين ، منهم ابن حجر في لسان الميزان ٤٧١\١٤ ، والقندوزي في الينابيع ٢٧٢\١ ، والخطيب البغدادي في تاريخه ١٧٧\٥ وابن عساكر في تاريخه ٢٣٠\٥ .

الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ }[30] ودلالتها على البخل ، فهم مع ذلك لايمكنهم حب علي –ع- لأن حبه من حب رسوله وهو بعد من حب الله تعالى ُ {قلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ }[31] وهم فاقدون أصلا لعامل الإتباع .

## الخطبة الشقشقية :

لقد بلغ أمير المؤمنين –ع- أيما مبلغ وهو يصف حالة الأمة الإسلامية بعد رسول الله طيلة خمس وعشرين عاما ، أي إلى اليوم الذي تزاحمت فيه الناس وتداكّت على بيعته - صلوات الله عليه – حتى وطئ الحسنان ، وشق عطفاه ، ورجع أمير المؤمنين بقراراته الحقة ، لم تغيره ولاية ، ولم تبدله بيعة ، فقد بدأ الخطبة بالذي بني عليه الفكر الشيعي من معنى الخلافة إذ هي مقام مجعول من الله ليس للبشر مدخلية فيه ، ولا اختيار ، فاستعار لفظ القميص للخلافة ، ولم يصرح بها للعلم بها[32] ، ولعل ذكر القميص هنا – والله أعلم – جاء لتزامن رفع قميص اتهم أمير المؤمنين –ع- أنه ممن شرك في دم صاحبه ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فالإمام –ع- من خلال صيغة (تفعّل) والتي من معانيها الخمسة عشر التلبس بالمسمى المشتق [33] فهي مغصوبة وصاحبها متقمص لذا بين – سلام الله عليه- محله من الخلافة بما عرفه عنه خصومه أَمَا وَ اللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ وَ إِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يشير بذلك إلى مقام الإمامة وأنه سلام الله عليه في مكان لا يستطيع أحد أن يصل إليه فهو يريد أن يقول :" إني لعلو منزلتي كمن في السماء التي يستحيل أن يرقى الطير إليها "[34]

ثم ماذا كان منه لقد سدل دونها ثوبا مما يشير إلى معارضته الصامتة التي تبناها وكأنه قد انزوى في داره وأرخى سترا بينه وبينهم ، وطوى عنها كشحا غير آبه بما هُدر من حق ، وهضم من سلطان .

ويظل منتظرا حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى صاحبه كيف استعمل الإمام الفعل (أدلى) وهو مما يستعمل في إخراج الماء من البئر بواسطة الدلو، قال تعالى :

وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }[35]، وهو مما يترتب عليه ضياع حق ، وانفصام عرى

---

[30] التوبة: ٦٧
[31] آل عمران : ٣١
[32] شرح النهج (ابن أبي الحديد): ١\١١٩
[33] ظ البحر المحيط (أبو حيان الأندلسي) ١\٣١٧
[34] شرح النهج : ١\١٢٠
[35] البقرة :١٨٨

**شريعة هتك أخطر جانب من حريمها ، حتى أصبح يُدلى بها بين فلان وفلان بلا حجة ولا مشورة .**

**ويستطرد الإمام –ع- حال الثاني وما جرت خلافته من ويلات بعد أصيرها في فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا وَ يَخْشُنُ مَسُّهَا وَ يَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا وَ الِاعْتِذَارُ مِنْهَا "[٣٦]وهو بهذا الوصف يوقظ في النفس أسئلة كثيرة عن مدى شرعية الخلافة وهي مقام إلهي من جهة ، وما حملت أيامه من تبعات انتهت بمقتله بعد أن مني الناس لَعَمْرُ اللهِ بِخَبْطٍ و شِمَاسٍ و تَلَوُّنٍ و اعْتِرَاضٍ [٣٧]. فما كان من الإمام إلا الصبر وأي صبر تمثل بطول مدة وشدة محنة ، وما آلت إليه الأمور من استخلاف ستة يقول الإمام: زعم أني أحدهم ، والزعم هنا خلاف الواقع كما يشهد بذلك أهل اللغة ، قال ابن السكيت : " يقال للأمر الذي لا يوثق به مزعم أي يزعم هذا أنه كذا ، ويزعم هذا أنه كذا "[٣٨].وفيها إشارات وإشارات إلى عظيم المؤامرة ، على عليٍّ سلام الله عليه .**

**ثم يصور الإمام حال الثالث وما فعله بنو أبيه وما كانوا عليه من نهب ونهم وقد خضموا مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع وكيف جمع –ع- بين خضم ونبتة وهو غير قضم إذ يوحي صوت القاف بالشدة ، بينما يوحي الخاء بالرخاوة " فالخضم لأكل الرطب ، كالبطيخ والقثاء ... والقضم للصلب اليابس ... فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب ، والقاف لصلابتها لليابس"[٣٩].وفي ذلك دلالة من الإمام على جرأة القوم على أكل مال الله ، وأموال الناس سهلا طريا.**

**ثم يمضي –سلام الله عليه- واصفا حاله بعد تلك الفتنة الكبيرة يوم هرعت إليه الناس " فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَ النَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وَ شُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ"[٤٠] فشبههم بعرف الضبع وبانثيالهم إليه وباجتماعهم حوله كربيضة الغنم وكلها أوصاف تدل على فزع الناس إليه في محنة لم تمر بالمسلمين مثلها حملها أمير المؤمنين –ع- ، حتى وطىء الحسنان وهما العظمان اللذان يليان المرفق [٤١] وهو أنسب كثيرا ممن ذهب إلى أن معنى الحسنين هما الحسن والحسين –ع- فالاجتماع مهما كان فما في الناس جرأة على وطىء الحسنين ، ومناسبة أخرى هي ذكر الإمام للعطفين ، وكلها تشير إلى حقيقة واحدة ذكرناها من تجمهر الناس حوله وقد قال في مقام آخر " فتداكّوا عَليّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل وسقط الرداء "[٤٢].**

---

[٣٦] نهج البلاغة :٤٨
[٣٧] نفسه : ٤٩
[٣٨] الصحاح (الجوهري):١٩٤\٥
[٣٩] الخصائص :٢١٥٧-١٥٨
[٤٠] نهج البلاغة :٤٩
[٤١] ظ: تاج العروس :١٤٠\١٨-١٤٨
[٤٢] نهج البلاغة : ٢٢٢

ويمضي سلام الله عليه وهو يسجل ببراعة ما لحقه من الهموم بعد أن قام بالأمر من مقارعة للناكثين والقاسطين والمارقين ، وكيف حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها، وهو يؤطر كل ذلك بزهده الكبير والأصيل عن كل هذه المطامح التي غلب حبها على كثير من الناس ، ولكن هم الإمام إقامة الحق وإزهاق الباطل "أَمَا وَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَ قِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَ لَا سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَ لَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا وَ لَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ ".[٤٣]، يا له من عز، ويا له من إباء، حين يكون كل ما في يده مما تنازع عليه الناس من سلطان ودنيا أن يكون في نظره صورة يصورها الإمام بما تنفر منه طباع الإنسان في هوانه ، وضآلته في نظره ، إنها عفطة عنز ، تلك الفضلات التي ترميها الشاة أو العنزة من أنفها ، وحتى هذه الكلمات التي صدرت منه –صلوات الله عليه- كانت شقشقة هدرت ثم قرت ، ولم يكن يعجب الإمام أن يواصل ما قاله حين طلب إليه (ابن عباس) أن يطرد الخطبة من حيث أفضى ، فلم يكن من الإمام حرص على دنيا و لا طمع في خلافة ، بقدر ما كان من الدلالة على الحق وأهله.

## خطابه مع عدوه :

لقد بدا لي وأنا أتتبع كلامه عليه السلام أن الإمام كان يؤصل لمدرسة جديدة في الرد على خصومه ، حتى يكون الذي يريده في حاله تلك نمط من السلوك التربوي الذي يفضي إلى حجة وعقل ، لا إلى سباب وتعنت ، يقول وقد سمع أصحابه يسبون معاوية : " إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ وَ لَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَ ذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَ أَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ وَ قُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَ بَيْنِهِمْ وَ اهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ وَ يَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ "[٤٤]. إنه المنهج القرآني الذي تربى عليه بين يدي معلم الإنسانية رسول الله –صلى الله عليه وآله-{أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً }[٤٥]، " أي يبلغ إلى قلوبهم ألمه."[٤٦]

لقد كان الإمام بليغا في وصفه للدواء الذي يراه مناسبا " دلالة على فضل البلاغة ، وحث على اعتمادها بأوضح بيان ، لكونها أحد أقسام الحكمة ' لما فيها من بلوغ المعنى الذي يحتاج إلى التفسير باللفظ الوجيز، مع حسن الترتيب "[٤٧]

---

[٤٣] نهج البلاغة : ٥٠
[٤٤] نفسه :
[٤٥٤٥] النساء :٦٠
[٤٦] البحر المحيط:٣\٣٠٦
[٤٧] مجمع البيان :٣\١١٨

وحين يتحدث الإمام عما يعرف بدهاء معاوية فإنه لا يرى أن معاوية أدهى منه ولا أمكر " واللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي وَ لَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَ يَفْجُرُ وَ لَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ " [٤٨] ، وهو يعلم أن الغدر ليس من صفات بني هاشم ، فضلا عن كونه من صفات الإمام ، وأن كان قد قال في موضع آخر :" الْوَفَاءُ لِأَهْلِ الْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ الْغَدْرُ بِأَهْلِ الْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ "[٤٩] ولكنه كما علمه القرآن ، { وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ }[٥٠]

وهو ما سنّه أمير المؤمنين –ع- في حياته من قبل مع عثمان بن عفان يوم عرض له ما عرض من بني أبيه كما سلف ذكره " مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحاً بِالْغَرْبِ أَقْبِلْ وَ أَدْبِرْ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ وَ اللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً " [٥١]. ثم انظر في ظلال معاني هذا الكلام كيف كان الإمام حريصا على مقام الخلافة وإن لم تكن به ، فكانت همته منصرفة إلى الدفاع عن عثمان حتى خشي أن يكون آثما، ثم ما أحلى قوله –ع- جملا ناضحا وهي صفة أراد منها الإمام أن يرسم صورة الانقياد الذي أراده له عثمان من غير أن يلتفت إلى أخطائه التي جرّت عليه ما جرّت " إِلَى أَنِ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ وَ أَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَ كَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ "[٥٢] ، لقد استعمل الإمام أفعالا ماضية ثلاثة وهي ( انتكث وأجهز وكبا ) وكل منها بشير إلى اندفاع وعجلة من صاحبها ، خلفت وراءها أفعالا ثلاثة هي حصيلة انتكاث وإجهاز وكبو .

## إنصافه الناس من نفسه :

لقد وصف أمير المؤمنين –ع- نفسه ، وحاله ، ودنياه فكان بارعا كما عهدناه ، يقف مستلهما القرآن والسنة ، يتقلب فيهما مستزيدا مبتكرا يفتق من المعاني ما لم يألفه سامع ، ولم يشهده ذاكر ،" وَ اللَّهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَ غَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ "[٥٣] إنها نفس علي –ع- التي عرفتها الناس وقد راضها أي رياضة فكان أن قدم مكاره الحياة من مبيت على حسك السعدان وهو كناية عن خشونة المكان ، إذ إن هذا النبت الصحراوي

---

[٤٨] نهج البلاغة : ٣١٨
[٤٩] نفسه : ٥١٣
[٥٠] الأنفال : ٨٥
[٥١] نهج البلاغة : ٣٥٨
[٥٢] نفسه : ٤٩
[٥٣] نفسه : ٣٤٦

ذو أشواك ، لا يطيب معها المشي فضلا عن النوم، ولا يكتفي بذلك حتى يمضي مشددا على حاله من استقبال الشدائد ، حتى يصل الأمر إلى الجر في الأغلال على حال من التقييد ، وكل ذلك في ظلم بعض العباد ، وهو يشير –سلام الله عليه- إلى ما يراه من ظلم في أيام حياته ، وتعدٍ على الآخرين ، الذين كان الإمام يتأذى لما يراه من ألامهم ،" روى مجمع التيمي ، قال: كان علي عليه السلام يكنس بيت المال كل جمعة، ويصلي فيه ركعتين ويقول: ليشهد لي يوم القيامة"[٥٤]

ولم يكن سلام الله عليه – مداهنا حتى مع أخيه عقيل " وَ اللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَ قَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً وَ رَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ غُبْرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ [٥٥] " إن الإمام حين يورد لحال عقيل في صورة توحي بالإملاق الشديد الذي وصل إلى ولده من شعث شعور وغبر ألوان حتى كأنه صبغت بالعِظْلِم ، وحين يستميح عقيل أخاه عليا من البُرِّ صاعا لا أكثر، يعمد الإمام إلى إخراج صورة ترتسم فيها معالم حسية لجزاء عمل الغاصب للحق الظالم للعباد ، في صورة من النار الدنيوية في إحماء حديدة قربها منه ، ولعل الإمام –ع- لم يفعل ذلك وإنما مثل له ليكون أبلغ في الصورة وهو من منهج القرآن الذي يذهب إليه بعض المفسرين في مثل قوله تعالى : { ثمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ }[٥٦] " والمعنى لو كانتا مما يقولان لقالتا "[٥٧] وقوله تعالى : {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً }[٥٨]أنها لو كن يشفقن ويأبين لأبين "[٥٩].

ثم يمضي الإمام ليصور جانبا من عواقب الذين يحاولون أن يداهنوا عليا في دينه ، فيقول : " وَ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا وَ مَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا "[٦٠] ، لله درّ علي حين شبه تلك الهدية قد عجن بريق حية ،أو، قيئها وذاك ما لم يدر في خلد ، ولم يكن في بال في جعل الصورة وقد حملت من القرف حتى قد جعل النفس في حال من الانكماش أمام طعام قد قاءت فيه حية ، والإمام دقيق في استعماله حية بدل أفعى وثعبان، لما في جرسها من حركة وانسياب ، وخبث وانسلال ، فهي متحركة أمام العين بأبشع صورة ، وأغرب تصوير ، لا تكاد تنفصل عن الدهشة ، وعن متعة المشهد الحسي المقرف .

لقد ردها ولكن بأيّ ردّ ، " أَعَنْ دِينِ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي أَمُخْتَبِطٌ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ"[٦١] إنها روح الأولياء الذين استغنوا بالله ، فلم يمكن لدنيا مهما

---

[٥٤] شرح نهج البلاغة(ابن ابي الحديد):١٩٩\٢
[٥٥] نفسه: ٣٤٦
[٥٦] : فصلت : ١١
[٥٧] : رسائل المرتضى : ٤٢٩\١
[٥٨] الأحزاب : ٧٢
[٥٩] رسائل المرتضى : ٤٢٩\١
[٦٠] نهج البلاغة : ٣٤٧
[٦١] نفسه : ٣٤٧

طالت وعرضت أن تنال من تقواهم لأن ما فيها متاع الحياة الدنيا {وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ }[٦٢]،

ثمّ يضرب المثل الأروع في ورعه الذي يبين عدله . وتجافيه عن الظلم ، وبعده عن الأذى ، " وَ اللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ"[٦٣]،لم يحتج الإمام أمام الناس لبينة على ما يقول وقد عرفوه بمدرعته التي رقعها حتى استحيا من راقعها" وَاللَّهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا وَ لَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَ لَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ فَقُلْتُ اغْرُبْ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى [٦٤]"

## خطابه مع الدنيا :

شغلت الدنيا مساحة واسعة من وصف الإمام ، وما أكثر ما حذر منها وخوف . ونظر في عواقبها وعرّف ، وقد بلغ من معرفته بحالها أنه إن كانت قد تزوجت بأناس كثيرين وكان لها كل يوم زوج ، وعدت عليا من أزواجها ، فقد بدا للإمام أن يطلقها ثلاث طلقات لا رجعة فيها، " يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا إِلَيْكِ عَنِّي أَ بِي تَعَرَّضْتِ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ لَا حَانَ حِينُكِ هَيْهَاتَ غُرِّي غَيْرِي لَا حَاجَةَ لِي فِيكِ قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجْعَةَ فِيهَا "[٦٥] إن الإمام يريد أن يشير في هذا وسواه إلى عظيم ما جرّت الدنيا به أهلها ، واستنزلتهم إلى مهاويها ، وضاعوا في متاهاتها ، فهم بين متحير لا يدري كيف يثوب إلى رشده ، وبين ضال قد ركب هواه ، وجبار قد أخذته العزة بالإثم .

أما هو –ع- فلم تكن الدنيا ليشغله حلوها الفتّان ، وسرابها الخدّاع ، حتى ابتدرها بالطلاق الذي لا رجعة فيه . وليس بين يديه إلا النظر إلى طريق الآخرة الذي جعله يتأوه لكثرة ما فيه من عقبات " آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ وَ طُولِ الطَّرِيقِ وَ بُعْدِ السَّفَرِ وَ عَظِيمِ الْمَوْرِدِ "[٦٦]. لذلك كان ينبغي الاستعداد لليوم الذي فيه { تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ }[٦٧]

فسلام عليك يا أمير المؤمنين ، يوم ولدت، ويوم، علمت وربيت، ويوم استشهدت ، وأنت حي خالد في ضمائر الأحرار والصالحين.

---

[٦٢] آل عمران : ١٨٥
[٦٣] نهج البلاغة: ٣٤٧
[٦٤] نفسه : ٢٢٩
[٦٥] نفسه : ٤٨١
[٦٦] نفسه : ٤٨١
[٦٧] الحج: ٢

**الخاتمة :**

**لقد بدا من خلال هذه السطور المتواضعة منهج جذاب في حديث المرء عن نفسه ، وأي منزلة تستحق ، ولقد كان أمير المؤمنين - عليه السلام – بارعا في وصف نفسه ، غير مبالغ ، ولا مقصر بل كان في حال تعريفه بحقه منصفا بحجة ، وفي حاله مع عدوه مرشدا بعزة ، وفي ذكره فضل أهل البيت – عليهم السلام – هاديا مهديا ، وفي إنصافه الناس من نفسه إماما عليا ، وحين يشبه الدنيا وحالاته معها فهو ممن أبصرها ونفذ بصره فيها إلى غيرها ، ولم تكن حبائلها لتقيده ، ومفاتنها لتبهره ، عارف بها ، شاخص منها ، يعمل بها لغيرها ، ولا يعمل لها من أجلها ، لقد أصابت أوصافُه عينَ الحقِّ وروحَه ، ولم يكن اللفظ ليعجزه فيأتي بمرادفه ، بل كان بعيد الغور ، لطيف السبك ، تنساب المعاني بين يديه انسياب السيل إلى بطن الوادي .**

**ومهما تحدثنا عن كلام علي –ع- فلن نبلغ من الثناء عليه مبلغا ، ولا من التعريف به مطمحا ، فهو دون كلام الخالق ، وفوق كلام المخلوقين ، ولكن سبيل نحاول أن نكون به مع إمامنا ، وطريق يجمعنا به ، وهو بعد فتحٌ في كل معاني القيم الأدبية والتربوية والأخلاقية ، المقيم على النهل منها مقيم على كنوز عظيمة لا تنفد ، وبلاغة لا توصف ، وبيان معجز ، وأسلوب رائع .**

**المصادر :**


**١. القرآن الكريم .**

**٢. البحار ، محمد باقر المجلسي (قده) مؤسسة الوفاء بيروت- لبنان ط ٢ ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣ مـ .**

**٣. تاج العروس محب الدين السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي دراسة وتحقيق علي شيري دار الفكر ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ مـ .**

**٤. تاريخ بغداد ، أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بروت – لبنان د.ت.**

٥. تاريخ مدينة دمشق ، الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة المعروف بابن عساكر ، دراسة وتحقيق : علي شيري دار الفكر بيروت – لبنان ١٤١٤ هـ - ١٩٩٥مـ .

٦. تحف العقول إبن شعبة الحرّاني ، قام بتصحيحه والتعليق عليه ، علي أكبر غفاري ،ط ٢ مؤسسة النشر الإسلامي ، إيران ١٤٠٤هـ.

٧. تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي مطابع النصر الحديثة ، الرياض د.ت .

٨. تفسير العياشي المحدث الجليل أبي النظر محمد بن مسعود بن عياش السمرقندي المعروف بالعياشي ، وقف على تصحيحه وتحقيقه هاشم الرسولي المحلاتي ، المكتبة العلمية الإسلامية طهران د.ت .

٩. تفسير الثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي ، حقق أصوله وخرج أحاديثه الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان د.ت.

١٠. حلية الأولياء ، أبو نعيم الأصبهاني ، الكتاب العربي ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ مـ .

١١. الخصائص ، إبن جني تحقيق محمد علي النجار مصر ١٣٨١ هـ .

١٢. رسائل الشريف المرتضى تقديم وإشراف السيد أحمد الحسيني مطبعة سيد الشهداء – قم ١٤٠٥ هـ .

١٣. السنن الكبرى ، النسائي ، تحقيق ، الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط ١ ١٤١١ هـ - ١٩٩١ مـ .

١٤. شرح نهج البلاغة ، إبن أبي الحديد المعتزلي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ مـ .

١٥. شواهد التنزيل لقواعد التفصيل ، الحافظ الكبير المعروف بالحاكم الحسكاني ، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ، مؤسسة الطبع والنشر ، إيران ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ مـ .

١٦. الصحاح ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ط١ القاهرة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦مـ .

١٧. عوالم العلوم والمعارف والأحوال ، الشيخ عبد الله البحراني ، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي قم المقدسة ، ط١ ١٤٠٧ هـ .

١٨. فضل آل البيت عليهم السلام ، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، تحقيق السيد علي عاشور العاملي ' ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٠ مـ .

١٩. الكتاب ، سيبويه مطبعة بولاق ١٣١٦ هـ .

٢٠. لسان الميزان ، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مؤسسة الأعلمي بيروت – لبنان ط٢ ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ مـ .

٢١. مجمع البحرين العالم المحدث الشيخ فخر الدين الطريحي أعاد بناءه محمود عادل د. ت .

٢٢. مجمع البيان في تفسير القرآن ، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ١٩٩٥م.

٢٣. المقتضب ، المبرد (٢٨٥هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، د. ت .

٢٤. نهج الإيمان ، زين الدين علي بن يوسف بن جبر ، تحقيق السيد أحمد الحسيني ، نشر مجتمع الإمام الهادي –ع- مشهد ط ١ ١٤١٨ هـ .

٢٥. نهج البلاغة ، مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ،ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية الدكتور صبحي الصالح ، بيروت – لبنان ط ١ ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧ مـ .

٢٦. ينابيع المودة لذوي القربى ، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي ، تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني ، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران ط ١ د. ت .